﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٥٩﴾

[الزخرف: 59]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

تقريرُ عبوديَّة عيسى لإظهار خطل مَن يعبدونه، والحرص على الاستدلال للحقِّ

بعد أن ذكرت الآيتان السّابقتان المَثَل الَّذي ضربه المشركون ومعهم ابنُ الزِّبعرى بالمسيح ابن مريم، والذي احتجَّ فيه بأنَّ النَّصارى يعبدونه من دون الله؛ ناسب أن يُردف ذلك بتقرير عبوديَّة عيسى؛ إظهارًا لخطل رأي الَّذين ادَّعوا إلهيَّته، وعبدوه، وهم النَّصارى حرصًا على الاستدلال للحقِّ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَنۡعَمۡنَا﴾: (نعم) أصلٌ واحِدٌ يَدُلُّ عَلى تَرَفُّهٍ وطِيبِ عَيشٍ وصَلاحٍ، مِنهُ النِّعمَةُ: ما يُنْعِمُ اللهُ تَعالَى عَلى عَبْدِهِ بِهِ مِن مالٍ وعَيْشٍ، والنِّعْمَةُ: الحالةُ الحسنةُ، والإنعامُ: إيصالُ الإحسانِ إلى الغَيْرِ، ولا يقال إلّا إذا كان الموصَلُ إليه من جِنْسِ النّاطِقينَ، والنُّعْمَى نقيضُ البُؤْسَى، قال تعالى: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ﴾[2]، والمعنى: أنعَمْنا عليه بالنُّبوَّة والمعجزات وغير ذلك[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

عيسى عبدٌ من عباد الله أنعم عليه بالنُّبوَّة وأيَّده بالمعجزات وجعَلَه مَثَلًا

ترفَعُ الآيةُ الكريمةُ مِن شأن عيسى عليه السلام وتُحَدِّد منزلتَه، وتنفي عنه غلوَّ المغالين، وإنقاصَ المُنقصين، فهي تقطع بأنَّه عبدٌ من عباد الله، أنعم عليه بنعمة النُّبوَّة، وجعل ذكرَه جديرًا بأن يسير سيرَ الأمثال لبني إسرائيل الَّذين أرسله إليهم؛ إذ خلقه من غير

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 240.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، مفردات القرآن: (نعم).

(3) السيوطي، معترك الأقران: 3/ 167.

أبٍ، وأيَّده بالمعجزات الباهرات، الَّتي منها: إبراءُ الأكمه والأبرص وإحياءُ الموتى بإذن الله ... وهذا كلُّه دليلٌ على وحدانيَّة الله تعالى، وكمال قدرته، ونفاذ إرادته[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

سرُّ فصل: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ﴾ عمّا قبلها:

جمع عيسى عليه السلام بين العبوديَّة والوحي

جاءت جملة: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ﴾ مفصولةً عمّا قبلها لشبه كمال الاتِّصال الَّذي تُجيب فيه الجملةُ الثانيةُ عن سؤال يدور في ذهن المتلقّي عن حقيقة عيسى بن مريم بعد أن تحدَّثت الآياتُ السابقةُ عن ضرب المشركين المثل بعبادة النَّصارى له، فتأتي هذه الجملةُ؛ لتوضِّح أنَّه ليس إلهًا، وإنَّما هو عبدٌ أنعم اللهُ تعالى عليه بالنُّبوَّة، وأيَّده بكثيرٍ من المعجزات، ومِن ثَمَّ فُصلت عمّا قبلها، كما يُفصل الجوابُ عن السُّؤال.

وجهُ استعمالِ ﴿إِنْ﴾ أداةً للنَّفي:

تأسيسُ الكلام على تأكيد حقيقة عيسى عليه السلام

﴿إِنْ﴾ في قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ﴾ حرفُ نفي، أوثر التَّعبيرُ به دون غيره من الحروف؛ لأنَّه يدلُّ على القوَّة والحسمِ وتأكيدِ النَّفي، ولتؤسس الآية على أسلوب الحصر والقصر بالجمع بين أداة النَّفي ﴿إِنْ﴾ وأداة الاستثناء ﴿إِلَّا﴾، والمعنى: ما هو إلّا عبد.

دلالةُ التَّعبير بالضَّمير ﴿هُوَ﴾:

القطعُ بأنَّ عيسى بنَ مريم عبدٌ كسائر العبيد وليس إلهًا من دون الله

عبَّر النَّظمُ عن المسيح عليه السلام بالضَّمير في قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ﴾ جريًا على الأصل في التَّعبير عن الاسم الظاهر الَّذي سبق ذكره بالضَّمير، ولِما يفيده البيانُ بالضَّمير هنا من استحضار المُسند إليه وتعيينه تعيينًا يحول دون صرف الحديث عنه إلى غيره، والمعنى: ما عيسى إلّا عبد كسائر العبيد أنعمنا عليه[2].

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 13/ 93.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 640، والبقاعي، نظم الدرر: 17/ 457.

بلاغةُ القصر بالنَّفي والاستثناء:

تأكيدُ ضلالِ النَّصارى، والحرصُ على الاستدلال للحقِّ

في جملة: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ﴾ قَصرَ النَّظمُ الكريمُ المسيحَ ﷺ على كونه عبدًا لله، قصْرَ موصوفٍ على صفة بغرض القلب؛ وذلك للرَّدِّ على الَّذين زعموه إلهًا[1]، وأوثر النَّفي والاستثناء طريقًا للقصر؛ لأنَّه يمتاز بالنَّفي القاطع لأن يكون عيسى بنُ مريم إلهًا، ويؤكِّد تأكيدًا جازمًا على أنَّه ليس إلّا عبدًا من عباد الله، اختصَّه اللهُ بالنُّبوَّة، وأيَّده بالمعجزات، فلم يدَّعِ الألوهيَّةَ، ولم يطلبْ من أحدٍ عبادتَه، ولكنَّ أتباعه هم الَّذين فعلوا ذلك، ومِن ثمَّ قَصَرَه النَّظمُ الكريمُ على صفةِ العبوديَّة بعد أن نفى عنه صفةَ الألوهيَّة الَّتي تضادُّها؛ تأكيدًا لضلال النَّصارى الَّذين ادَّعوا إلهيَّته، وعبدوه، وحرصًا على الاستدلال للحقِّ[2].

الغرضُ من كثرة المؤكِّدات في الجملة:

ترسيخُ عبوديَّةِ المسيحِ في أذهان مَن يعبدونه، ومَن يضربون به المثلَ وغيرِهم

جاء قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ﴾ مشتملًا على جملة من المؤكِّدات، وهي حرف النَّفي، والجملة الاسميَّة، وأسلوب القصر الَّذي يُقَوِّي المعنى، ويُؤَكِّده من خلال النَّفي أوَّلًا والإثبات ثانيًا؛ تثبيتًا لمعنى عبوديَّة المسيح، وترسيخًا له في أذهان النّاس بصفة عامَّة، وأذهان مَن يعبدونه مِنَ النَّصارى، ومَن يضربون به المَثَلَ مِن كفّار مكَّةَ بصفةٍ خاصَّةٍ.

دلالةُ التَّعبيرِ بفعلِ الإنعامِ مسندًا إلى ضمير العظَمة:

تفضيلُ عيسى ببعض النِّعم لا يعني كونَه إلهًا

قولُه: ﴿أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ جملة في محل رفع صفة لـ ﴿عَبْدٌ﴾، عبَّر فيها النَّظمُ بفعل الإنعام؛ للإشارة إلى أنَّ عيسى فُضِّل ببعض النِّعم، فليست له خصوصيَّةٌ مزية زائدة على بقيَّة الرُّسل، وليس تكوينُه بدون أبٍ دليلًا على أنَّه إلهٌ، ولكنَّه كان إرهاصًا لنبوَّته[3]، وجيء به

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 240.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 240.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 240.

مسندًا إلى ضمير الحقِّ بصيغة التَّعظيم تنويهًا بالنِّعمة ودلالةً على عظمةِ المُنعِم، وقدرتِه على كلِّ شيء، وجدارتِه بالأُلوهيَّة الَّتي أطلقها الضُّلّالُ على واحدٍ مِن عباده الَّذين تفضَّل سبحانه بالإنعام عليهم.

دلالةُ تعدية فعل الإنعام إلى الضَّمير بحرف الاستعلاء:

نِعَمُ اللهِ على عيسى محضُ فضلٍ أُنزِل عليه، وليس له فيها أيُّ كسبٍ أو تأثير

في تعدية فعل الإنعام إلى ضمير المسيح ﷺ في قوله: ﴿أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ دلالةٌ على أنَّ اللّهَ تعالى اختصَّه بنعمٍ لم يُنعِم على أحدٍ غيرِه بمثلِها، مثل ولادته من غير أبٍ، وكلامِه في المَهد، واختصاصِه بإبراء الأكمه والأبرص، وإقدارِه على إحياء الموتى بإذن الله، وغير ذلك ممّا لا يقدر على التَّوفيق إليه أحدٌ إلّا الله ﷻ[1]، وأوثر التَّعبيرُ بحرف الاستعلاء؛ للدَّلالة على أنَّ تلك النِّعَم من النُّبوَّة وغيرها محضُ عطاءٍ تَنَزَّل من الله تعالى عليه، وليس له فيها أيُّ كسبٍ أو تأثير.

دلالةُ التَّعبيرِ بفعل الجَعْل ماضيًا مُسندًا إلى ضمير العظَمة:

بيانُ ما في خلق المسيح من باهر القدرة، وعجيب الصُّنعة، وخرق العادة المألوفة

في التَّعبير بالفعل: ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾ الدّالِّ هنا على الخلق والتَّصيير[2] مسندًا إلى ضمير العظمة دلالةٌ على ما في إيجاد المسيح وخلقِه من باهر القدرة، وعجيب الصُّنعة، وخرق العادة المألوفة في إيجاد النّاس وتكوينهم[3]؛ إذ خلقه اللّهُ من غير أبٍ، وأقدره على إبراء مَن لا سبيل إلى بُرئِهم، كما جعل في استطاعته إحياءَ الَّذين انتهت حياتُهم، وغير ذلك ممّا يجعل الحديث عنه جديرًا بأن يسير في النّاس بعامَّة، وفي بني إسرائيل بخاصَّة سير الأمثال الدّالَّة على قدرة الله على كلِّ شيء، والَّتي تدفعُ القلوبَ إلى الإيمان، وتُثيرُ النُّفوسَ إلى الإخبات والإذعان.

جَعْلُ عيسى مثلًا وعِبرةً لبني إسرائيل أمرٌ قدَّره اللهُ في الأزل

وفي التَّعبير بفعل الجعل ماضيًا دلالةٌ على أنَّ جعْلَ المسيح عِبرةً عجيبةً تسير في بني إسرائيل سير الأمثال أمرٌ قدَّره الله تعالى في الأزل؛ لعلمه أنَّ ذلك يعود عليهم بالخير والنَّفع، كما سيأتي بيانه.

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 385.
(2) الراغب، مفردات القرآن: (جعل).
(3) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 457.

الغرض من تنكير ﴿مَثَلًا﴾:

قدرُ اللهِ عجيبٌ، وفعلُهُ حكيمٌ

قولُه: ﴿مَثَلًا﴾ هو المفعول الثّاني للفعل (جَعَل)، أوثر التَّعبيرُ به نكرة مُنَوَّنًا؛ لما يفيده التَّنكير والتَّنوين من التَّعظيم والتَّفخيم معنًى وجرسًا، والمعنى: جعلناه أمرًا عجيبًا[1] بالغًا في الدَّهشة والعجب أن يسير سيرَ المثل، وأن يُضربَ به المثلُ.

نوعُ التَّشبيه في الآية وبلاغته:

المسيحُ مَثَلٌ عظيمٌ مستقلٌّ

في جملة: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا﴾ شُبِّه المسيحُ بنُ مريم - من خلال ضمير الغائب المتَّصل بفعل الجَعْل - بالمَثَل تشبيهًا بليغًا من غير وجهٍ ولا أداةٍ؛ إذ التَّقدير: صيَّرنا عيسى عجيبةً كالمثل السّائر[2]، وحذْفُ الأداة يؤذن بقوَّة التَّشبيه، ويدلُّ على أنَّ المسيحَ مَثَلٌ مستقلٌّ لتفرُّده فيما اختُصَّ به، وعدم الإنعام على أحد في عصره بمثل ما أنعم الله به عليه، وحذفُ الوجهِ يؤذن باتِّساع الجوانب الَّتي صار فيها عيسى بن مريم مثلًا لبني إسرائيل، فهو مَثَلٌ في عجيبة الخلق، ومَثَلٌ في الإيمان، ومَثَلٌ في الطِّبِّ، ومَثَلٌ في البرِّ، ومَثَلٌ في عمل الخير، ومَثَلٌ في غير ذلك ممّا يعلمُه بنو إسرائيل، ويعرفونه، والمعنى: "جعل أمْرَهُ واضحًا جدًّا، بحيث إنَّه يُمَثَّل به، فيكون موضِّحًا لغيره، ولا يحتاج هو إلى مَثَلٍ يوضِّحُه عند مَن له أدنى بصيرة"[3].

نوعُ اللّامِ ودلالتها في: ﴿لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾:

الغرضُ من بعْثِ المسيح في بني إسرائيل تجديدُ إيمانِهم وإعادةُ تشريفِ الله لهم

اللّام في قوله: ﴿لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ حرفُ جرٍّ يفيد الاختصاصَ، وهي تَعني: أنَّ اللهَ تعالى خلق عيسى على نحوٍ عجيبٍ، وأيَّده بمعجزات لم يؤيِّد بها أحدًا غيره؛ ليكون مثلًا لبني إسرائيل على وجه الخصوص؛ "لأنَّهم كانوا قد ضعُف إيمانُهم بالغيب، وبَعُد

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 457.
(2) الطيبي، حاشية الطيبي على الكشاف: 14/ 166.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 458.

عهدُهم بإرسال الرُّسل، فبعثه الله مجدِّدًا للإيمان بينهم، ومُبَرهِنًا بمعجزاته على عظيم قدرة الله، ومعيدًا لتشريف الله بني إسرائيل؛ إذ جعل فيهم أنبياء؛ ليكون ذلك سببًا لقوَّة الإيمان فيهم، ومُظهِرًا لفضيلة أهل الفضل الَّذين آمنوا به، ولعناد الَّذين منعهم الدَّفعُ عن حرمتهم من الاعتراف بمعجزاته، فناصبوه العداء، وسعوا للتَّنكيل به وقتله، فعصمه الله منهم، ورفعه إليه من بينهم، فاهتدى به أقوام، وافتتن به آخرون.

المسيحُ رسولُ اللهِ إلى بني إسرائيل بخاصَّة وليس إلى أحدٍ غيرِهم

في قوله: ﴿لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ إشارةٌ أخرى إلى أنَّ عيسى لم يُبعث إلّا إليهم، وأنَّه لم يدعُ غيرَهم إلى اتِّباع دينه، ومَن اتَّبعوه من غير بني إسرائيل في عصور الكفر والشِّرك، فإنَّما تقلَّدوا دعوتَهُ؛ لأنَّها تنقذهم من ظلمات الشِّرك والوثنيَّة والتَّعطيل"[1].

❁ الفُروقُ المُعجَمِيَّةُ:

بنو إسرائيل واليهود:

بنو إسرائيل كلُّ أبناء يعقوب بما فيهم اليهود، واليهود هم الَّذين هادوا بعد الانحراف

بنو إسرائيل هم: كلُّ مَن جاء من نسل نبيِّ الله يعقوب ﷺ، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [مريم: 58]، أمّا اليهودُ؛ فهُم الَّذين هادوا إلى الله من بني إسرائيل، أي: رجعوا إليه بعد أن انحرفوا، فتابوا من ذلك، واتَّبعوا نبيَّ الله موسى ﷺ، كما قال تعالى: ﴿۞وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: 156]، ولمّا كان المسيح ﷺ رسولًا إلى بني إسرائيل بصفة عامَّة، وليس إلى اليهود وحدهم؛ ناسب التَّعبير بقوله: ﴿وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 241.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والخمسون،
سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 54 ، 802 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-655-02-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 54 : المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-655-02-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8769435 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"